المضامين الوطنيّة في شعر الدّكتور أحمد السّالم؛ دراسة تحليليّة

د. إبراهيم مصطفى الدّهون

أستاذ الأدب القديم المساعد بجامعة الجوف- السّعودية.

تمّ دعم هذا المشروع من قبل جامعة الجوف

تحت مشروع بحثي رقم:(٣٥/٣٢٧)

٢٤٢٥

مستخلص: يتناول هذا البحث صورة الوطن في شعر الدكتور أحمد السّالم؛ دراسة تحليليّة، ولعلّ المتأمّل لمسيرة الشّعر السّعودي أن يلحظ انميازه في دقة التّفاعل مع الوطن والتّعامل معه على أساس عناصره ومكوناته، التي تنطلق من الفرد الذي يبلور المكان ويؤسس المنهج.

ولا شكّ أنَّ للوطن سحراً يتمثّل في تمسك الشّعراء وحديثهم في قضايا ومسائل أكثر عمومية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم واتّجاهات الانتماء والولاء للوطن.

كما أنّ الشّعر يعبّر عن قيمة جماليّة تتجلّى من خلال التأكيد على دوره في المواجهة وتأصيل للكلمة الطيبة، فإنَّ الشّاعر المنتمي يرفض التّجاوزات، والفكر المنحرف. ويحمل مشروعاً في معايشته الحقيقية لوقائع أمته وعصره، لا يتنصل عن وظيفته بل كان واعياً حياً لقضايا المجتمع مستلهماً حواراً فعّالاً يشيعه بين أبناء جلدته.

ولبيان هذه الجهود بشكل دقيق وملحوظ، والخروج بدراسة متكاملة في جوانب الوطن والروح الوطنية، برزت فكرة هذه الورقة البحثيّة. وقد استدعى الأمر الاستعانة بجميع دواوين الشّاعر المنشورة: (بوح الخاطر، صدى الوجدان، دموع في مواجهة الطوفان، قبلات على الرمل والحجر، عندما كنت هناك، الخيمة البيضاء)، والإفادة منها لتحليل صورة الوطن الصّارخة.

وعند قراءتنا لشعر الدكتور السّالم وجدنا فيه اتّجاهاً فنيّاً عظيماً فضلاً عن تبنّي منهجاً يظهر فيه تطوير الإنسان، بحيث ينخرط بمجتمعه،

ويعيش فيه آمناً مطمئناً، شاعراً بالرعاية، وتحقيق الذات، يشارك بشكل فعّال وبنّاء، ويفخر به ويدافع عنه، ويمارس حقوقه بتوازن وعدل.

وعلى هذا الأساس، انماز شعر السّالم بالميل إلى إثارة الموضوعات الوطنيّة في الوجدان الإنساني، وجعله رسالة وطنية. وتقتضي طبيعة البحث تقسيمه إلى أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الوطن والدّلالة.

المبحث الثانى: صور الولاء.

المبحث الثالث: صور الحنين.

المبحث الرابع: الوطن المديح.

ويتضمن هذا البحث خاتمة تحوي أهم التوصيات والنتائج التي سيتوصل إليها الدّارس خلال دراسته لشعر السّالم.

الكلمات المفتاحية: المضامين، السّالم، الوطن، الشّعر، الوطنيّة.

National implications in the hair, Dr. Ahmed Salem; analytical study

Dr. Ibrahim Mustafa al dhoon

Assistant professor of ancient literature at the University of Saudi Arabia Region.

This project has been supported by the Al-Jouf University under a research project number: (327/35)

Abstract: This paper deals with image of the country in the poetry of Dr. Ahmed Salem; analytical study, and perhaps the meditator to march Saudi hair being noticed Anmeazh in interaction with the world and deal with it on the basis of elements and components, which starts from an individual who crystallizes the place and found the curriculum accuracy.

There is no doubt that the nation is stuck charming poets and talk on issues and matters of a more general, is closely linked to the concepts and trends of belonging and loyalty to the homeland.

The poetry expresses the aesthetic value reflected by emphasizing his role in the confrontation and rooting for the good word, the poet belonging rejects abuses, and thought deviant. And it holds projects in the real facts of his nation and live with his time, does not shirk from his job, but was conscious and alive to the issues of society, inspired by an active dialogue between virgin other children of his own people.

To illustrate these efforts and accurately marked, and out in an integrated study aspects of homeland and national spirit, emerged the idea of this paper. This has necessitated

the use of all the collections of the poet published: (Bouh Khater, an echo of conscience, tears in the face of the flood, kisses on the sand and stone, when I was there, the white tent), and benefit from the analysis of the stark image of the nation.

When the reading of poetry by Dr. Salem and found it a great technical trend as well as the adoption of an approach in which human development shows, so engage his society, and live a safe assured, poet, care, self-fulfillment, participate effectively and build, and proud of him and defend him, and exercise the rights of balance and justice.

On this basis, Anmaz Salem hair tendency to raise national issues in the human conscience, and make it a national message. It requires the nature of the research divided into four sections as follows:

First topic: the homeland and significance.

The second topic: Photos of loyalty.

The third topic: Photos nostalgia.

The fourth topic: home praise.

This includes research Conclusion contains the most important recommendations and findings of the student during his study of hair Salem.

Key words: content, Salem, home, hair, National.

المقدمة:

الحمد لله الذي عمّ بفضله، ومنّ بعدله، وفتق اللسان برحمته، وأنطق الإنسان بحكمته، وسدّد فأرشد إلى الإسلام، وعرّف بنفسه بين الوحي والإلهام، ووعد وأوعد بتوسط العقول والإفهام، وأطلق بتوحيده وتمجيده ألسنة الأنام، وأسنة الأقلام، حمد معترف بما أولاه وآتاه، معترف من فيض نعماه ورحماه.

وصلى الله على محمّد مصطفاه، ومجتباه وخيرته من أنبيائه، وصفوته من أوليائه صلاة تترادف مع الصباح والمساء، وتستدر أخلاق النعم والآلاء.

يعود اتّصالي بشعر الدكتور السّالم إلى ثلاث سنوات خلت، ذلك عندما التقينا في نادي الجوف الأدبيّ، بسكاكا، من خلال أمسية شعريّة عام: (٢٠١١م)، فدار بيننا حوار نقدي حول الشّعر، فأهداني – عندئذ– نسخة من ديوانه: (صدى الوجدان) الصّادر عن دار غريب، القاهرة، عام:(٢٠٠٦م).

ومن خلال تصفحي لديوان الشّاعر السّابق لمست أنَّ كلمة الوطنية ملحوظة في ديوانه لدولة التوحيد، دولة الأمن والاطمئنان التي أسسها بجهاده الملك عبد العزيز– رحمه الله– فعبّر عن شعوره الوطني الصّادق، وطموحه الكبير، وحماسته المتّقدة نحو وطنه السّعودي.

ويُعدّ السّالم من رواد الشّعر السّعودي المعاصر، الذين أفرزتهم المملكة العربيّة السّعودية، لما اجتمع له من ثقافة وسعة ومعرفة، وعمق

تجربة وبعد في الرؤية، لما أصدره من مجاميع شعريّة، وإضافات جديدة في التّجربة الأدبيّة السّعوديّة، جعلت منه شاعراً على السّاحة العربيّة.

وجاءت تجربته الشّعريّة عبر مرحلة طويلة، منذ كان ذلك الطفل الصّغير، الذي يدرس المرحلة الابتدائيّة في مدينة دومة الجندل، تلك المدينة الجميلة، الهادئة، الهانئة، الوادعة بتلاحم أهلها جميعاً، في المدرسة الشّرقية: (عبد الله بن رواحه الابتدائية حالياً) عُرِف عنه قوة الحافظة خاصّة من جانب الشّعر.

كما شكّلت مرحلة الدّراسة الجامعيّة في كلية اللّغة العربية بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة للسالم دافعاً ورافداً قوياً، وفتحت المجال في كتابة الشّعر.

فنشرت له أوّل قصيدة في جزيرة الرياض بعنوان: (بكت السّماء) وكانت رثاء في الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله–.

وصدر للسالم ديوانه الأوّل: (بوح الخاطر) عام:(١٤١٨هـــ). وبرز الوطن هاجسه، لا يستبدله أو يتوه عنه، أو يضع له البدائل، خالد ما بقي الرمل والحجر أو ما بقيت الصّحراء بنقائها.

– أسباب اختيار الموضوع:

١ – تعزّز ميولي نحو هذا الموضوع عندما تبيّن عدم وجود دراسة متخصصة بمثل هذا العنوان، ممّا دفعني قدماً في استكناه أبعاد الدّراسة، وتحديد الأطر الرئيسة، وبعد فترة من القراءة وتتبع الدّراسات التي كتبت حول السّالم قديماً وحديثاً، والشّعر العمودي، وبعد الاطلاع الواسع والتّقصي الجاد لشعره عقدت همتي على اختيار هذا الموضوع.

٢ – انطلاقاً من إيماني بأهمية تجربة السّالم الشّعريّة واحتوائها الكثير من التّقنيات الإبداعيّة، والاثراءات الفنّيّة، والدّلالات الوطنيّة، وتنوع موضوعاتها ومضامينها التي تستهوي المتلقي، وتحفّزه على السّير قدماً في الدّرس والتّحليل، أخذت على عاتقي دراسة شعر السّالم وفقاً لظاهرة: (صورة الوطن التّحليليّة).

٣ – لم تنل صورة الوطن ومفرداته في الشّعر السّعودي عامّة والسّالم خاصّة، حظاً وافراً من الدّراسة مع أنّه جدير بأن تكثف له دراسات طويلة وجهود كبيرة، فالمملكة العربيّة السّعوديّة تزخر بالشّعراء الموهوبين القادرين على العطاء الجيد ذوي الآذان الموسيقيّة، والحس المرهف، والخيال الواسع، واللّغة الثريّة، والقدرة السّحريّة على حسن التّعبير.

٤ – لما كانت جهود النّقاد والدّارسين قد انصبت في هذا العصر على الجانب النّثري، ومن خلال التّركيز على الروايّة في السّعودية، وانشغالها بالإصدارات الحديثة للفئة الشباب، وما تمخضت عنه من تجاهل كثير من الإبداعات الشّعريّة الفريدة التي حجزت مكاناً على السّاحة العربيّة أردت أن أشير إلى إنجازات هؤلاء الشّعراء تجاه وطنهم، ومكان نشأتهم الأولى.

٥ – أنَّ الدّراسات المتخصصة في أعمال أحمد السّالم قليلة جداً، وما صدر بصددها لا يعدو – أحياناً كثيرة– مقالات تومض بين فترة وأخرى على صفحات الصّحف اليومية أو المواقع الإلكترونية أو المجلات الثقافية ممّا جعل توجهي نحو دراسته أمراً واقعياً وجليّاً.

٦ – أنَّ السّالم يمثّل مرحلتين مختلفتين من النّاحية الفنيّة؛ فالأولى نقرأ فيها شاعريّة التقليد واقتفاء أثر السّابقين من الشّعراء، أمّا الثّانيّة فإنه يرسخ طور النّضوج الفكري والفنّي معاً.

– أهداف البحث:

١ – دراسة المضامين الوطنيّة، وصورة الوطن التي شكّلت ظاهرة جليّة عند السّالم، وجعلت منه شاعراً مرموقاً في الأدب السّعودي، فقد سطّر قلمه شعراً رائعاً في الوطن والانتماء والولاء، جديراً بكلِّ تقدير وإجلال.

٢ – تتبع غرض أو مجال من مجالات الشّعر العربي القديم: (الشّعر الوطني)، واثبات ما وصل إليه السّالم في هذا الجانب بعصر يتجه دائماً إلى تصويره في الشّعر، وتوضيح أعلامه الشّعرية لهذا المجال، وما يتأثر من علاقات مكانيّة وزمانيّة وغيرها.

٣ – الوقوف على الأثر النّفسي للنّص الشّعري – عند السّالم– في تنمية الحس الوطني والوازع الانتمائي بين أفراد المجتمع، كما يؤكد على واجب الأدب في نشر ثقافة التقارب والتّواصل؛ لأننا لا نستطيع أن نؤصّل لمفاهيم المواطنة الصّالحة، ونبذ العنف بمعزل عن الثقافة والأدب، فالوطن يتطلب صدقاً خالصاً نابعاً من داخل الإنسان تجاه وطنه دون مواربة أو تغيير.

٤ – بيان معالم المواطنة والانتماء إلى الوطن في النّصّ الشّعري، وأثر أطروحات الشّاعر في صياغتها منتجاً إبداعياً، ومنشطاً ثقافياً،

وإبراز معالمها، التي بدت واضحة في خطابه الشّعري الذي يتطلب منهجاً قرائياً واعياً جديراً بالتقدير.

٥- تتبع تطور مفهوم الوطن في الشّعر السّعودي المعاصر، وبيان تأثير الجوانب الحياتية والفكريّة في هذا المفهوم.

٦- إيضاح أبرز الملامح الشّعريّة للوطن السّعودي، وقيمتها اللّغويّة.

ـــ المنهج الذي سوف تسير عليه الدراسة:

إنَّ المنهج الذي سوف أستند عليه في هذا البحث، هو المنهج التّحليلي، من أجل الولوج إلى شعر أحمد السّالم، وكشف العناصر الدّلالية، والتّراكيب الشّعريّة التي صوّرت الوطن والولاء والحنين له.

فأسعى إلى تقديم النّصوص المتضمنة نماذج من صور الوطن، ثمّ أعمد إلى تحليلها، ودراستها دراسة نقديّة.

- **الأبحاث السّابقة: (المسح الأدبي).**

وحقيقٌ عليَّ، أن لا أبخس النّاس أشياءهم، لهذا كان لا بدّ من الإشارة إلى بعض الدّراسات التي أتيح ليّ أن أطلع عليها، والتي أرى أنها ستخدم الدراسة، فكانت على النحو الآتي:

١ – الوطن في الشّعر السّعودي المعاصر، عطا الله مسفر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، درس فيها الباحث صورة الوطن في الشّعر العربي المعاصر، عند كثير من الشّعراء، بيد أنّ الدّراسة لم تقف عند تجربة أحمد السّالم، فضلاً عن عدم الإشارة إليها.

٢ – الاتجاه الوجداني في الشّعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، فقد خصّص المؤلِّف في كتابه جزءاً عن علاقة الشّاعر بوطنه، والمكان الذي ينتمي إليه، لذا يُعدّ هذا المؤلَّف رافداً للدراسة.

٣ – الاتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، محمّد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، تحدّث المؤلِّف عن مظاهر الوطنية في الأدب بنوعيه الشِّعر والنّثر، فضلاً عن أنّه عرّج على نصوص تحليليّة أبرز فيها أشكال العلاقة الكامنة بين الوطن والمبدع.

٤ – ارتحالات الشّعر في الزمان والمكان، طراد الكبيسي، دار اليازوري العلميّة للنشر والتّوزيع، الأردن، الطبعة العربيّة، ٢٠٠٩م. تناول فيه المؤلِّف أثر المكان في نفسية الشّاعر، لما يشكله هذا المكان من ارتباطات ذاتية وداخلية لدن الشّاعر.

٥– مركزية الانتماء الوطني في شعر نزار قباني، مها خير بك ناصر، مجلّة الموقف الأدبي، دمشق، عدد ٤٣١، آذار، ٢٠٠٧م. وتتجلّى صورة الوطن، ومظاهره عند نزار قباني في نصوص مختلفة، ولا يتوقف الوطن عند قباني على المكان فحسب، بل تشمل الأهل والأفراد والزمان. وينكشف ذلك عبر نصوص شعريّة تحليلية اتّخذت الباحثة منها مثالاً صارخاً على الدّراسة.

كما وقفنا في دراستنا هذه على رسائل وبحوث اتخذت من شعر السالم عنواناً للبحث والقراءة، نحو:

١- التجربة الوجدانية في شعر الشّاعر أحمد السّالم، يحيى بن يحيى خطار، جامعة الإمام محمّد، الرياض.

٢- الرؤية والتشكيل في شعريّة أحمد السّالم، طامي دعيليب الشمراني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

٣- أدبية المصالحة في شعرية السّالم، زهر العنابي، دار بطوطة للنشر والتوزيع، عمّان.

٤- التراكيب النحوية في شعر السّالم، رسالة ماجستير، جامعة جلاسجو، نيجيريا.

٥- أحمد السّالم شاعراً، فاطمة الحيسوني، جامعة مؤتة، الأردن.

٦- ملف عن الأديب الشّاعر أحمد السّالم، مجلة الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السّديري، الجوف السّعودية.

ومن الإنصاف القول: إنَّ هذه الدّراسات على تباعد فتراتها الزمنيّة سوف تكون مفاتيح، للولوج إلى الدّراسة، وتحدد أطرها، وتجمع شتاتها، وتُعَرِّف بالشّاعر، وتسبر أغوار نصوصه الشّعريّة، وتكشف عن نظرته للوطن وثيماته.

- <u>الأهداف وكيفية تحقيقها:</u>

١ – دراسة المضامين الوطنيّة، وصورة الوطن التي شكّلت ظاهرة جليّة عند السّالم، وجعلت منه شاعراً مرموقاً في الأدب السّعودي، فقد سطّر قلمه شعراً رائعاً في الوطن والانتماء والولاء، جديراً بكل تقدير وإجلال.

٢ – تتبع غرض أو مجال من مجالات الشّعر العربي القديم: (الشّعر الوطني)، واثبات ما وصل إليه السّالم في هذا الجانب بعصر يتجه دائماً

إلى تصويره في الشّعر، وتوضيح أعلامه الشّعريّة لهذا المجال، وما يتأثر من علاقات مكانيّة وزمانيّة وغيرها.

٣ – الوقوف على الأثر النّفسي للنّص الشّعري – عند السّالم– في تنمية الحس الوطني والوازع الانتمائي بين أفراد المجتمع، كما يؤكد على واجب الأدب في نشر ثقافة التقارب والتّواصل؛ لأننا لا نستطيع أن نؤصّل لمفاهيم المواطنة الصّالحة، ونبذ العنف بمعزل عن الثقافة والأدب، فالوطن يتطلب صدقاً خالصاً نابعاً من داخل الإنسان تجاه وطنه دون مواربة أو تغيير.

٤ – بيان معالم المواطنة والانتماء إلى الوطن في النّصّ الشّعري، وأثر أطروحات الشّاعر في صياغتها منتجاً إبداعيّاً، ومنشطاً ثقافياً، وإبراز معالمها، التي بدت واضحة في خطابه الشّعري الذي يتطلب منهجاً قرائياً واعياً جديراً بالتقدير.

٥– تتبع تطور مفهوم الوطن في الشّعر السّعودي المعاصر، وبيان تأثير الجوانب الحياتية والفكرية في هذا المفهوم.

٧- إيضاح أبرز الملامح الشّعريّة للوطن السّعودي، وقيمتها اللّغويّة.

التعريف بالشاعر:

هو أحمد بن عبد الله السّالم، شاعر وأديب وأكاديمي سعودي، تلقى تعليمه المدرسي في دومة الجندل بمنطقة الجوف، وتعليمه الجامعي بمدينة الرياض، حصل على درجة البكالوريوس عام ١٣٩٧هـ، ثمّ حصل على درجة الماجستير سنة ١٤٠٣هـ، ودرجة الدكتوراه سنة ١٤٠٧هـ.

عمل رئيساً لقسم النحو والصّرف، وفقه اللّغة بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ثمّ عميداً لكلية اللغة العربية، ثمّ وكيلاً للجامعة لشؤون الطالبات.

انتسب إلى عضوية لجان عديدة منها: عضو رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية، وعضو لجنة المشورة في مهرجان الجنادرية، وعضو مجلس أمناء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربيّة.

شارك في أمسيات شعرية محلية وخارجية، نحو: أمسية نادي الشّرقية الأدبي، ونادي الجوف الأدبيّ، ونادي المدينة المنورة الأدبيّ، وأمسية مدينة شيكاغو(أمريكا)، وأمسية مدينة إربد(الأردن).

له كثير من الدّراسات والأبحاث التّخصصية، نحو: أم بين اللغويين والمفسرين والنحاة، التّوابع في الصّرف؛ دراسة وتحقيقاً، ورُبّ في اللسان العربيّ بين النّظريّة والتّطبيق. وله ستة دواوين شعريّة مطبوعة، هي: (بوح الخاطر، صدى الوجدان، دموع في مواجهة الطوفان، قبلات على الرمل والحجر، عندما كنت هناك، الخيمة البيضاء).

المبحث الأول: الوطن والدلالة.

يتخذ الوطنُ عند الانسان أبعاداً متعددة، فانتماؤه، وتاريخه، وطفولته، ومشاعره وأحساسيه الممزوجة بالمكان تتجلّى في هذه البقعة من الأرض، بل يمكن للوطن أن يتسع أفقه وحدوده الضيقة؛ ليشمل العالم أو مكاناً آخر أرحب من إطار الدوائر الضيقة.

وقد أثبتت الدّراسات التّاريخيّة أنَّ فكرة أرض الله واسعة، هذه الثيمة ترسخت بعقلية المسلم العربي، إذ كان كثير من جنود الفتوحات يتخذون من الأراضي المفتوحة أوطاناً لهم، فيستقرون ويطيلون المكوث فيها، على أنّها غدت مستقراً، ومكاناً لحياتهم، وأنّهم لا يرجعون إلى الجزيرة بعد الخروج منها، لاندماجهم بالمجتمع الجديد، وممارسة حياتهم المعيشية المعتادة بكلّ يسر ولين[1].

وقارئ شعر المتنبي، يدرك أنّه قد وقف عند الكلمة صراحة دون تلميح أو إشارة، فيقول:[2]

بمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

ويتدبر أمر حياته بعد فقدان وطنه، فلا يجد إلاّ الغربة والضّياع، فلا شيء يسعده، ولا أحد يواسيه، فقد سئم ما هو فيه من حيرة وضياع، وعذّبه هذا الطموح الكبير، ولكن لا ديمومة لسعادة أو سرور.

---

[1] قضايا حول الشّعر، عبده بدوي، ذات السّلاسل للطباعة والنّشر، الكويت، ١٩٨٦م، ص٦٩.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السّقا وآخران، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٤، ص٣٠١.

وهكذا ظلّ الشّعراء القدماء يطرحون المفهوم بصور وأشكال متباينة، يظهر من خلاله مفردات الحنين والغربة والانتماء، والشّوق والحزن، والفراق، والتغني أيضاً بجماليات المكان، من أرض، ووهاد، وتلال، وجبال، ومظاهر طبيعية تنتشر في أرجاء ذلك الوطن الذي يسكن نفس الشّاعر، ومنبع فكره.

واتّسع مفهوم الوطن في العصور الحديثة، وتشعبت أوجه العلاقة به، وتعددت دلالاته بعد أن صارت الأوطان كيانات سياسية، واقتصاديّة من مرشحات العصر الحديث في تشظي الوطن وتطور العلاقة به. لذلك نلحظ أنَّ الوطن أخذ ينحو منحيين، الأول غايته العموم، إذ الوطن في هذا المنحى هو حصة المشتركين جميعاً في الانتماء إلى أرض محددة، ويتشكّل في ضوء المفاهيم الجغرافيّة، والتّاريخيّة، والسّياسيّة، والوطن– في هذا البعد– هو ما يحدد جنسية الفرد، ويمكن أن نطلق عليه : (الوطن العام).

أمّا الآخر، فغايته الخصوصية، إذ تحدده العلاقة الوجدانيّة الحميمة بين الإنسان، وما تنتمي إليه ذاته، وأمّا تجده الذات ملاذاً من الوطن العام، وهذا هو الوطن الخاص، أو ننعته: بـــ(الوطن الذات) [٣].

ولعلَّ المتأمّل لمسيرة الشّعر السّعودي أن يلحظ دقة التّفاعل مع الوطن والتعامل معه على أساس عناصره ومكوناته، التي تنطلق من الفرد الذي يبلور المكان ويؤسس المنهج. ولا شكّ أنَّ للوطن سحراً

---

[٣] الوطن في شعر السياب الدّلالة والبناء، كريم مهدي المسعودي، دار صفحات للدراسات والنّشر، دمشق، ٢٠١١م، ص٢٢

يتمثل في تمسك الشُّعراء وحديثهم في قضايا، ومسائل أكثر عموميةً، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم واتّجاهات المواطنة.

كما أنَّ الشِّعر يعبّر عن قيمة جمالية تتجلّى من خلال التّأكيد على دوره في المواجهة، وتأصيل للكلمة الطيبة، فإنَّ الشَّاعر المنتمي يرفض التّجاوزات، والفكر المنحرف، ويحمل مشروعاً في معايشته الحقيقيّة لوقائع أمته وعصره، لا يتنصل عن وظيفته، بل كان واعياً حيّاً، لقضايا المجتمع، مستلهماً حواراً فعّالاً يشيعه بين أبناء جلدته.

فالوطن: مفهوم اشتقّ من الجذر الثّلاثي: (وطن)، تشترك فيه جميع الأمم، وكيان يفرض وجوداً راسخاً على الفرد المنتمي، الذي يشعر أنَّ مشكلاته لا تتجزأ، ولا تنفصل عن مشاكل أفراد المجتمع الآخرين.

لكنَّ الكلمةَ أخذت تتبلور، وتنمو ليتشكل منها كلمة المواطنة، بسبب خضوعها لأنظمة متباينة ومعقدة، أصبحت متعددةَ الأبعاد، عصية عن الفهم، وهو ما يفقدها في الغالب صفة التّماسك والانتماء.

وإذا أراد الباحثُ أنْ يلمّ شتات، ومتفرقات المواطنة، ومفاهيمها، وتحديداتها، يصل إلى تحديد دقيق لمفهومها، وهو حبّ الوطن والوفاء له، والتّضحية بالغالي والنّفيس في سبيله.

أمّا الوطنية؛ فإنّها تأتي إطاراً فكريّاً محيطاً للمواطنة، بمعنى أنَّ الوطنيّة عمليّة فكريّة، أمّا المواطنة فهي ممارسة، وقد يكون الفرد مواطناً، لكنّه قد لا يكون وطنيّاً، والوطنيّة مفهوم متعدد الأبعاد يحتوي

على دلالات سياسيّة واجتماعيّة وأخلاقيّة وثقافيّة، وهي مفهوم إنساني شامل. فالوطنيّة عاطفة جيّاشة يحسّ بها الفرد تجاه وطنه[٤].

وبقي أنْ نشير إلى أنَّ مفهومَ المواطنة رباطٌ وثيقٌ، ووشيجٌ وتفاعل، وتمازج في بوتقة واحدة هي الوطن.

وتأسيساً على ذلك، فإنّ للمواطنة بوصفها منظومة قيم ومبادئ وظيفةً حضاريةً تفضي بالإنسان إلى صعود مراقي التَّطور والتقدّم والازدهار، وتنجز أهدافاً في تحفيز مسيرة الرقي الإنساني، وفي بناء حضارة البشر، على نحو يمكّن الإنسان من الاستمرار في رحلة وجودية تحمله من كمال محقَّق إلى كمال محتمل[٥].

ولا بدّ أنْ يعي من يحاول طرح المواطنة والوطن أو التمتع بهما أو يمارسهما، الأبعاد الأخلاقيّة والسّلوكيّة والمفاهيم التي ترتبط بهما ارتباطاً قويّاً. فالمواطنة والوطن ليست مفردات أو علماً محضاً، ينحصر اهتمام الممارسين لها بترديد شعارات أو هتافات أو تراكيب لغويّة فحسب، بل هي تواصل وتقارب وتماهي الفرد والمجتمع داخل الوطن والبحث في طبيعة العلاقة بين الأقوال الحقيقية والأفعال الاجتماعيّة والسّلوكيّة.

---

(٤) صناعة المواطنة في عالم متغير؛ رؤية في السّياسة الاجتماعيّة، بحث مقدّم للقاء الثّالث عشر لقادة العمل التربوي، عبد العزيز الشريدة،

الباحة، ١٤٢٦هـ، ص٥.

(٥)الاستراتيجية الوطنية؛ ورشة عمل خاصة بمناقشة مسوَّدة الخطة، عبد الرحمن بسيسو، غزة، ١٦نيسان، ٢٠٠٥م، ص٦+٧.

فحينما نقرأ شعر السّالم نلحظ جليّاً صورة الوطن، فقد عكسته مقطوعات شعريّة، وقصائد جميلة، نحو: (القريات، من أنا، الجوف حضارة وتاريخ، حق الوطن،...) حيث جعل الشّاعر أرض الوطن مبعثاً للنور والأمل، لا سيما في أسطرها الشّعريّة في قصيدته التي وسمت بـــــ(حق الوطن) فقد صوّر الدّور العظيم الذي تقوم به بلده تجاه الحجيج، والزائرين لبيت الله، والمسجد النبوي، فسكب على الوطن بهذه الدّلالات معاني الحبّ والحبور، فانتشر الأمن والإيمان في أرجائه؛ لأنَّ الأمنَ مطلبٌ ضروري، والإنسان أحوج ما يكون إليه من الطعام والشّراب، لذا قدّمه إبراهيم – عليه السّلام– على الرزق في دعائه في القرآن الكريم: " وإذ قال إبراهيم ربّ اجعلْ هذا البلدَ آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبدَ الأصنامَ" [٦].

([٦]) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

المبحث الثاني: صور الولاء.

إنَّ إعلان السّالم ولاءه لوطنه يأتي ولاء وانتماء لعروبته، فيتفاعل مع أحداث وطنه، ويشاركها، وهذا نوع من اعتزازه بعروبته، وإحساسه بآمال الإنسان العربي المسلم. كما أنَّ انتماءاته نابعة من ارتباطه بذلك البلد ومصيره[٧].

وإحساساً من السّالم لولائه، وقربه من وطنه، فقد تغنى بمظاهر وعادات بلده المضياف، ونسمع من خلال أغانيه أغاريد التّفاؤل، والأمل تطل على الشّعوب العربيّة، وسائر أنحاء العالم الإسلامي.

ومن ظواهر ولاء الشّاعر، محاولته استقطاب الرأي العام نحو جهود بلده السّعوديّة، فقد استطاع أن يستوعب حجم الحبّ الحقيقي للإنسان العربي المسلم تجاه الدّيار المقدسة الضّاربة في جذور التّراث العربي، وكما استطاع استيعاب تلك الحقيقة، فقد تمكّن – أيضاً– أن يصورها في شعره بجميع جوانبها، ومظاهرها، ومفرداتها، ودلالاتها الحقيقية.

وهنا، نجد أنَّ الشّاعر يعلن صراحة حبّه لوطنه، ودور الشّعب في الحفاظ عليه، والدّفاع عنه، ومن ذلك قوله مبيناً اعتزاز الإنسان بوطنه، ودوره في حمايته، وفي دفع الظلم والأذى عن البلاد وحمايتها، فيقول: [٨]

---

[٧] تطور الاتجاه الوطني في الشّعر الفلسطيني المعاصر، سعدي أبو شاور، المؤسسة العربيّة للنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٥٣.

[٨] ديوان دموع في مواجهة الطوفان، أحمد عبد الله السّالم، دار المفردات للنشر والتّوزيع، الرياض، ٢٠١٢م، ص١٩.

ضعوا الأكف معا وراعوا عروبتكم لتكتسي حُللَ الدّيباج و القصب
و راقبوا الله و أُتمّوا بمصحفه وبالذي قال طه المصطفى النسب
إذا اضطجعت و نال النوم مطلبه مني أُتتني تناويني و تصرخ بي
أنا العروبة قد حطّ الأمان على أرضي من الدوحة الخضرا إلى حلب
ومن مشارق أرضي طار طائره إلى ربوع بلاد المغرب العربي

وفي هذه الأبيات يدعو السّالم العرب إلى تعاضد الهمم، وتقارب وجهات النّظر، والنأي عن الفرقة والخلاف، كما أنّه يبث الروح الوطنيّة في نفوس العرب، مذكراً إياهم بكتابهم العظيم، وسجل مآثرهم، ومفاخرهم وانتصاراتهم العظيمة.

ولعلّ السّالم كان من أقدر شعراء المملكة العربية السّعوديّة على إثارة العزيمة، ونشر روح الأمل، وعناصر التّفاؤل في عقول النّاس، فهو يعلن صراحة بإسلاميته وعروبته، فالنّسب إسلامي، والانتماء عربي خالص، إذ يقول: [٩]

إذا سئلت إلى من ينتهي نسبي؟ فلست للعرب يا قومي بمنتسبِ
قلبي تعلق بالإسلام يعشقه إليه دون سواه ينتهي نسبي
ما كنت أُصدرُ عن حقد أُكتمه لا، بل لأنّ مصابي مثلكم عربي

فالسّالم يشحذ الهمم، ويبعث التفاؤل، واللقاء الوطني في نفوس الشّعب، كمقدمة لإعلان عروبته، ودوره في خدمة الوطن، والدّفاع عنه، فالأوّل مظهر جلي في شعره، فاقتران السّالم بالعروبة، واندماجه معها

---

[٩] ديوان دموع في مواجهة الطوفان، ص١٧.

مثال الحبّ الكبير للوطن، وإعادة الثّقة في نفوس الشّعب، فقد عرف الشّاعر كيف يشق طريقه إلى جماهير الوطن العربي، فهو شاعر شعب، وصاحب قضية، يمثل حالة جماعيّة للشعب العربي، لإحالة نفسيّة فرديّة، وهذه الحالة المتكررة لصورة السّالم الشّعريّة، أي الصّورة الجمعية أو العربيّة التي ملأت دواوينه الشّعريّة، وأخذ ينافح عنها كثيراً. فهو لم يكن رفاهياً، أو ذاتياً ولكنه كان دائماً(التزاماً) بالروح الجماعيّة، والدّفاعيّة عن المجتمع[١٠].

إنَّ الشّاعر جزء لا يتجزأ من مجتمعه، وشعبه، يحسّ بإحساسه، ويتألم لألمه، ويفرح لفرحه، ويتساءل لتساؤله، فبالرغم من ولاء السّالم لوطنه، ومراتع طفولته، فلم يمنعه ذلك من الولاء لأهل غزة، وأبناء فلسطين، فتأتي قصيدة: (غزة وصرخة لم تصل) معبّرة عن انتمائه العروبي، مصورة للواقع الأليم لشعب غزة، مدركاً مدى المسؤولية التي انيطت به تجاه شعبه ومجتمعه وأبناء جلدته، وذلك أنّه: " بمجرد ما يتلو صاحب القلم، أو ينشر ما كتب فقد فعل فعلاً اجتماعياً، فأصبح مسؤولاً لدى مجتمعه وشعبه، وقومه، وأمته، ولدى الإنسانيّة بما يرتبط وطنه بالإنسانيّة"[١١]. وليس أدلّ على ذلك قوله: [١٢]

هبّوا نقر وعت الدواعي واستهلكت كل المساعي

---

[١٠]الحنين والغربة في الشّعر العربي الفلسطيني الحديث، أحمد يوسف البلاصي، دار كنوز المعرفة العلميّة، عمّان، ٢٠٠٩م، ط١، ص١٣٦.

[١١] الأدب المسؤول، رئيف خوري، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص٤٧-٤٨.

[١٢] ديوان دموع في مواجهة الطوفان، ص٧٤-٧٩.

و العرب أيضاً قصروا لم يرأبوا عمق انصداعي

هي وقفة من خادم الحرمين محمود الطباع

لم تلق عند العرب عند ر الغرب آذان استماع

يتخذ السّالم في قصيدته الآنفة: (غزة) متكأ يتوجه من خلاله لبث آلامه وأحزانه، وشكواه لفقد أهلها عناصر الأمن والسّعادة والسكينة معرجاً على مناصرة خادم الحرمين لشعب غزة، ومدى مساندته لهم في ظروفهم القاسيّة، وهم يرزحون تحت احتلال غاشم، وآلة حرب صماء.

ويطالعنا السّالم بأبيات أكد فيها صراحة على ولائه الفردي، وانطلاقته الواسعة، نحو عروبة خالية من النّفاق والمداهنة، والنّكوص، فيقول: [١٣]

أوّاه ممّا أصاب القوم أوّاه تألّب الشرّ و انباحت نواياه

دم العروبة أضحى في المزاد سدى و لليهود ومنّ قد عزّ مشراه

يا قادة العُرب إنّ الأمر في يدكم فالمصطفى ونس الأنزال مسراه

كأننا كلما في الحرب مات الفتى نحن الزين إلى الأكفان سقناه

يرسم الشّاعرُ صورة لشخصية الإنسان العربي المنتمي لبلده، ووطنه وعروبته، ذلك الإنسان الذي لا يساوم على بلده مقابل دريهمات زهيدة، فدم العروبة لا يقدر عنده بثمن، ويتجلّى ذلك بقوله:(دم العروبة أضحى في المزاد)، وهو يتمنى أن يتوحد الإنسان العربي، ويدعوه إلى الحفاظ على الأرض، منوهاً بهدف المحتلّ الطامع بأرض بلاده.

---

[١٣] ديوان دموع في مواجهة الطوفان، ص٨٧.

على أنّ السّالم لا يبلغ قمة الروعة إلاَّ حين يشرع في إسقاط صور الولاء لبلده السّعوديّة من خلال الأشياء التي يحبّها، فوطنه محبوبة عشقها، وهام في حبّها، ويستطيع أن يفعل بها ما تشاء؛ لأنّها ملكت عرزام فؤاده، وأشركته بحبائل هواها، فيقول في قصيدته: (حوار مع أهل الدار): [١٤]

بلاوي هواها في فؤادي أحسّه و قد سكنت مني وريداً وشريانا
على أرضها كنا وكان لنا الهوى سلاحاً به نرمي فنحكم سرحانا
أحبّك يا خير الديار محبّة توثقنا بعد الممات بأخرانا
بفضلك كان الصفو ملح حياتنا و برؤ تلاقينا و طهر محيانا

فمن الواضح أنَّ بين الشّاعر ومدينته:(دومة الجندل) اتّصالاً وثيقاً، وعلاقة قلبيّة، تتقارب بنسيج عاطفي يتمثل فيضاً من الصور، التي تمحو ما بينهما من مسافات مكانيّة لطبيعة عمله الذي يجعله بعيداً، يقيم في الرياض.

لذلك، احتلّت صورة الولاء للوطن في تجربة الشّاعر حيزاً واسعاً، تملك أن تحقق فيه مزيداً من الحركة، والحيوية، والتّجدد[١٥]. ويكرّس السّالم ولاءه لوطنه في ديوانه: (بوح الخاطر)، إذ يقول: [١٦]

فلا دام حبٌّ قد تعلق غيرها ولا طاب شعر ما تغنّى بأوطان

---

[١٤] ديوان صدى الوجدان، أحمد عبد الله السّالم، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٧.

[١٥] ظاهرة الشّعر الحديث، أحمد المعداوي المجاطي،مراجعة وتقديم بخيت العوفي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص١٧٥.

[١٦] ديوان بوح الخاطر، أحمد عبد الله السالم، مرامر للطباعة الإلكترونيّة، الرياض، ١٤١٨هـ، ص٧٠.

إنَّ ثمّة ارتباطاً وثيقاً بين الشّاعر ووطنه، كما أنّ ولاء الشّاعر يكشف عن إبراز مظاهر التّقبل، والارتياح، والأمن الدّاعية لتمسك السّالم بها، ومحاولة الحديث عنها، ويطول بنا الأمر لو رحنا نرصد نماذج الولاء العديدة عند السّالم تجاه وطنه وعروبته، ذلك أنّ الذي نهتم له هو كيفية الصّعود بهذا الولاء والانتماء إلى أفق جمالي، وتعبيري فريد، على نحو ما أقدم عليه من النّماذج الشّعريّة السّابقة.

المبحث الثالث: صور الحنين.

الحنين في اللّغة: الشّوق، والمعنيان متقاربان[١٧]. ويقال: حنّ إليه، يحنّ، فهو حانّ[١٨]، ومن معانيه العطف والرحمة.

إذا كان الطائر يحنّ الى أوكاره، فالإنسان أحقّ بالحنين إلى أوطانه،[١٩] ويعكس الحنين إلى الوطن جانباً مهمّاً في تجربة أحمد السّالم، وقد اشتدّ وبلغ ذلك الحنين عند الشّاعر عندما ابتعد عن أهله، وأقام في مدينة الرياض، فضلاً عن أسفاره العديدة، فأصبحت المملكة العربيّة السّعوديّة خاصّة، والوطن العربي عامّة يتراءى له جنّة طافحة بمعاني الأنس والطمأنينة والهناء.

والحنين باب قديم في الشّعر العربي القديم، وإن جاز لنا أنْ نجعل لشعر الحنين بداية فيمكننا أن نقول: بأنَّ أوّل من حنَّ إلى الدّيار وبكى عليها في الشّعر العربي هو ابن حذام[٢٠].

وقد تفطن إلى ظاهر الحنين في الماضي الجاحظ(٢٥٥هـ)، وذلك من خلال رسالة له بعنوان: (الحنين إلى الأوطان)، تناول فيها حنين

---

[١٧] لسان العرب، ابن منظور جمال الدين بن مكرم المصري دار صادر، بيروت، د.ت، مادة:(حنن).

[١٨] الصّحاح، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، مادة: (حنن)، ج٥.

[١٩] الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ط٢، ص٩.

[٢٠] الحنين في الشعر الأندلسي، محمد أحمد دقالي، دار الوفاء، لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ط١، ص٢٦.

بعض الملوك إلى أوطانهم[٢١]. وقد بيّن فيها أنَّ حنين النّفس إلى مسقط رأسها من الشّعور بالانتماء، وأنّه من علامات الفطرة السّليمة.

وما يهمنا في هذا المبحث، هو الوقوف على مظاهر الحنين عند السّالم من خلال أشعاره العديدة، وأنَّ أوّل ما يقابلنا من نتاجه الشّعري في الحنين، قصيدته التي حملت عنواناً ينبئ بمسقط راسه: (دومة الجندل)، مهد الحضارة ومصدر الإشعاع، إذ يقول: [٢٢]

أُحييك يا دومة الجندل ... لقاء الذي كنت قدمت لي

و ليس غريباً على بلد ... لها السيف في الأعصر الأوّل

أنا أُحبك يا معبر الفاتحي ... ن كم روَّ حضنكِ من بطلِ

إلى الكون ترسل إشعاعها ... ليزهر في عصره المقبلِ

و سرّ الكتابة جاءت به ... على أهل مكة لم تبخلِ

رعتني في خطوات الصّبا ... وفي زمن كنت لا حول لي

و كل البرايا تلوذ بها ... فأنعم بدومة من مؤئلِ

يمضي الشّاعر في ذكر حنينه إلى مسقط رأسه، وذكرياته الماضية، متذكراً ربوع مدينته النّظرة، وسحر طبيعتها الخلابة، ويسترسل في

---

[٢١] الحنين إلى الأوطان، الجاحظ، ص٦-٧.

[٢٢] ديوان قبلات على الرمل والحجر، أحمد عبد الله السالم، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ٢٠٠٥م ، ص ٧٨.

الحديث عن الماضي الزاخر بالمعاني السّامقة، والأخلاق العربيّة الأصيلة، ويؤكد الشّاعر على فضل الدّومة، مرتع الطفولة.

تلك المدينة الوادعة بأهلها، وآثارها العريقة، فإنّها لم تبخل عليه إرشاداً أو توجيهاً. لذا يستحضر ذلك الماضي العزيز الذي قضاه في ربوعها، فيلقي عليها تحية احترام واعتزاز.

ويتابع السّالم في وصف محاسن مدينته، ولتتسع دائرة الحنين لتشمل الدّومة، ومن ثمّ منطقته الجوف إلى أن يصل وطنه السّعودية، موئل الحجيج، ومهوى أفئدة التائبين إلى الله، فيقول: [٢٣]

أُتيتَ يحملني شوقي و يغريني نحو الزين إلى عشقي أُعاوني
نزرتَ للأهلْ و الأوطان قافيتي فهل أُظنّ لها و الدار تدعوني
دارٌ و لا كلّ دار في مفاخرها أهل و لا كلّ أهلٍ في الموازينِ
أنا أُهتمُ بها صبحاً و أمسية حتى استقرّت على رأسي وفي عيني
ما جئتُ ذاكرة التاريخ أسألها إلاّ وجدتَ شذاها كالرياحين
يا جوف أنتَ لنا قلبٌ نلوذ به حتى وإن كنتِ من رملٍ و من طينِ
أحبّ أهلك من بدوٍ و حاضرة و حبُّهم باتَ يسري في شراييني

[٢٣] ديوان قبلات على الرمل والحجر، ص ١٠٩.

يتصاعد حنين السّالم عندما يذكر أماكن طفولته، ويشتد حنينه كلّما أكثر من ذكر تلك الأماكن والدّيار، ومع تصاعد بوادر الشّوق، والحنين يشعر براحة داخلية، وإحساس نفسي مفعم بالسّعادة والتفاؤل.

ومن هنا، تشكل الجوف – بالرغم أنها رمال وطين– ملاذاً آمناً له، ومستقراً خالياً من الضوضاء وصخب المدينة، فهي مستودع السّر، ونبع الدفء والحنان، فهو لا يملك إلا أن يشتدّ نحوها، ويعلن حنينه الجارف، والممزوج بحشرجة الفاقد لعزيز ابتعد عنه، وهذا يدلّل على مدى صدق إحساس الشّاعر وحنينه إلى وطنه.

وفي مشهد آخر من مشاهد حنين الشّاعر يصور لنا طبيعة بلاده، وما احتوته من إخاء واستقبال، وإيواء للأمتين العربيّة والإسلاميّة، فيحدوه الأمل والشّوق في البقاء عليهما، إذ يقول: [٢٤]

أُحبّك يا أُمّ البلاد و خيرها أُحبّكِ يا سَلواي عن كلّ سُلوانِ

ومن يفترش خير الأراضي ومن يكن سماها له سقفٌ فليس بعُريان

و إن ذكرت أوطانُ قومٍ فذكرها على ألسنِ الجلّى و في كل ميدانِ

ونظرة فاحصة للنّص الشّعري السّابق يبيّن لنا أنّه يقوم على ملمح أسلوبي جلي تمثّل في أسلوبيّة التّكرار، نحو: (أحبّك، سلوان، خير)؛ ليعبّر من خلاله عن شوقه، وحنينه لوطنه، كما يشير هذا إلى صدق تجربة الحنين، واستمرايتها.

---

[٢٤] ديوان بوح الخاطر، أحمد السّالم، ص ٩٦.

فهو يتحدث عن تجربة وجدانيّة عاشها، وتفاعل معها، وانعكست في أشعاره، وبرزت على ألفاظه، وصوره الشّعريّة.

بلغ توحد وحنين السّالم حداً لم يصل إليه سواه، إنّه الإدراك الواعي لمستوى التصاق الشّاعر بوطنه وديارِه، وأهله وأماكن طفولته، فلم يكن الوطن بالنسبة له تكتيكاً أو خطة أو قصة رومانسية يصوغها، ويحبك أقطابها، بل حمّل همومه، وأثقاله ومسؤولياته. فالسّالم صبغ وطنه بلوحة كاملة الألوان، استمدها من حياة وواقع الإنسان المتعلق بديارِه، ووطنه، فقال: [٢٥]

شوق سرى بين الضلوع وتاها رفقاً بها يا حبّ من أهواها

فتاته ملكت فؤادي وارتمت فيه بكامل حسنها وبهاها

وإذا سئلت أجبت إن حبيبتي هذه الدّيار بحزنها وقراها

تتعالى نغمة الحنين، والشّوق لدى السّالم، وتصل هذه النّغمة إلى درجة الحبّ، والغرام، كأنّها عشيقة مقبولة، قريبة من النّفس، وحبّ السّالم للوطن الذي من أجله يضحي، وما زال يهيم بهواه ويشتهي لقاءه ينفض مشاعر قلبه، وأحاسيسه النّفسيّة.

ويصور السّالم ذلك الحبّ الجارف للجوف، وأهلها، بفتاة معشوقة، نأت عنه، وابتعدت، فبدأ يشعر بألم الفراق، ويتنهد لوعة وحسرة لهذا

---

[٢٥] ديوان قبلات على الرمل والحجر، أحمد السّالم، ص +١٨١٧.

الجفاء، كما أنَّ قلبه التوى بخسران الفتاة الشّماليّة، فما عاد يستطيع سوى أن يقول: [٢٦]

كيف تنأى و حبنا عن تراضي فتقدّم و اشرب نمير حياضي
ليس عندي لطول صدكَ سرّ بعد عهد من حبّك الفياض
يا فتاة الحسن الشمالي يا من قد أُملنا منها ببعض التغاضي
صالحيني عودي كما أُنت حتى نستشف الحنين من كل ماضي
و لئن كنتِ قد تبدّلت غيري فسأُعطي صبابتي للرياض

إنّها الحبيبة الأرض، الوطن، المكان، الأهل، الوطن الذي يضحي بزهو العمر من أجله، والحبّ تضحية أكان لامرأة أم كان لفكرة، فإذا غابت المعشوقة الحبيبة عن العين[٢٧]، وحجبتها جدران العمل، والوظيفة استوطن حبّ الوطن، وتربع على عرش قلب الشّاعر، وبدأ جلياً، وذلك في مفردات: (يا فتاة الحسن الشّمالي، صالحيني، عودي، الحنين،...) ترابط وثيق بين الشّاعر وحبيبته الجوف، الذي ينبعث من عاطفة صادقة، وشعور داخلي، وببرز الدّور المشرف في تأثيره الطيب بين أبناء وطنه.

والسّالم شاعر متمرس باللّغة، مدرك للواجب الوطني، وإبقاء جسر التّواصل مع دومته، انتظاراً للقاء المستمرّ، فيحدثنا عن مشاعر الحنين والشّوق- المشتعلة في جوانحها- إلى مسقطها في الدّومة، وإلى

---

[٢٦] ديوان صدى الوجدان، أحمد السّالم، ص٥٦.

[٢٧] السّجن في الشعر الفلسطيني، ص٢٦٢.

ورودها وبحيرتها، وأيام السّمر، والسّهر فيبدي دعوته إلى الماضي، ويصارحنا في قوله: [٢٨]

بلادي هواها في فؤادي أحسّه و قد سكنت مني وريداً وشريانا

على أرضها كنّا وكان لنا الهوى سلاماً به نرمي فنحكم سرحانا

أحبّك يا خير الديار محبّة توثقنا بعد الممات بأخرانا

بفضلك كان الصفو ملح حياتنا و برؤ تلاقينا و طهر محيانا

لم يتمالك السّالم نفسه من شدّة شوقه لوطنه، بعد أنْ فرّقت الوظيفة بينهما، فارتقت بلاده مرتقاً عالياً، وسكنت قلبه، حيث يرتقي الشّاعر بالنّصّ إلى درجة عالية من القدرة الفنّيّة، ويربط بين الحبّ والوطن، فهو يساوي في الحبّ بين الأرض والحبيبة، ويطلب من الأخيرة أن تسمعه ولا تتركه، حبّاً بل شغفاً بحجارة وطنه وزيتونه، وأطلاله، ومنزله؛ لأنّه يرى وطنه بمثابة السّلاح الحامي، والمدافع عنه، إنّه مزج جميل، ومساواة لطيفة، تدلّ على أنّ السّالم يمسك بزمام أمره، ولن يتخلى عن حبّه، وانتمائه وولائه لوطنه أو يحيد عن سبيل هذا الاتجاه[٢٩].

المبحث الرابع: الوطن المديح.

---

[٢٨] ديوان صدى الوجدان، أحمد السّالم، ص٧٠.

[٢٩] ديواناه الوطني في الشّعر الفلسطيني المعاصر ١٩١٨م- ١٩٦٨م، محمد عبد عبد الله عطوان، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٥٣٠.

شكّل الوطن عند السّالم ممدوحاً عظيماً، واحتلّ مكانة مرموقة، تجلّت أشكاله بالأم الرؤوم، وبالصّديق الوفي، والإنسان القريب، الذي يمتلك قيم الإباء والمحبة، فأغدق السّالم عليه من صفات الخلود، والنّماء، والعطاء الكم الكبير، فقال في قصيدة بعنوان: (ذكرى نجد): [٣٠].

والجوف أزهر واخضرّت مرابعهُ كأنّه لا خضرارٍ فيه بستانُ

يا دولةً سطّر التاريخ نهضتها وعاش في ظلها عربٌ وأُفغانُ

تستأثر منطقة الجوف بنصيب وافر من ذكريات السّالم، في دلالته على المنزل، ومركز الذكريات الحلوة، وهي في رؤية الشّاعر أساس الكبرياء الصّحيحة، فظلّ يتردد اسمها على مدار قصائد دواوينه الشّعريّة؛ ليحقق بها هذه الدّلالة، والمبتغى.

ولعلّ قصيدة: (الموت آمال) هي من أكثر القصائد تجسيداً للمعنى الأعمق للمدح في رؤية السّالم، إذ هي خلوده في الحياة، وامتداده، كما تشكّل التحامه، نحو وطنه، فيقول: [٣١]

بلادنا في صنيع الخير سابقةٌ لها على أُمّة الإسلام أفضال

نبع من الخير لا جفت نوائله فكلهم من معين الخير نهّال

يا قبلة أُمّة الإسلام تقصدها وليس عنها إلى أُخرى تحوّل

قد وحّد الله بين المسلمين بها ففي التقدس لها قدرٌ و إجلال

---

[٣٠] ديوان بوح الخاطر، أحمد السّالم، ص٥٧.

[٣١] ديوان بوح الخاطر، أحمد السّالم، ص١١٤.

من أجلها الروح هانت وهي غالية و في هواها يهون الجهد و المال

إنَّ هذه القصيدة، وغيرها من القصائد ذات البعد الوطني، تنطوي على ثناء، ومدح يحمله الشّاعر في داخله تجاه بلده السّعوديّة عامّة، والجوف على وجه الخصوص، فالأبيات السّابقة بيان لشدة تعلق الشّاعر، وحبّه وشدّة إعجابه لهذه البيئة التي نشأ، وترعرع فيها؛ لأنّها ترمز لأصالة العربيّة والفروسية، والنّقاء الدّيني، فضلاً عن جمالها الروحي، وجمال أهلها وطيبتهم، ونقاء أصولهم وصفاء سرائرهم.

ولم يكن مدح السّالم مقصوراً على الجوف، ودومتها، بل كان هناك مدن سعودية أخرى نالت حظاً وافراً من هذا المدح، ومن شعر السّالم في مدح الرياض، ومن هنا كانت قصيدته:(الرياض الرمز) ثمرة من ثمرات شعوره بالمجد، والمحبّة والإخلاص والهيام بالرياض، يقول فيها: [٣٢]

كالأمّ تهمي على الأبناء تحنانا و قلبها لهم قد باتَ سيرانا
إنَّ الرياض رياض في تنفسنا فإن نظرنا إليها سُرَّ مرآنا
قولوا لعبد العزيز الشهم عاصمة الـ بلاد قد أصبحت للعلم سيرانا
يا روضة من رياض العلم مشرعة أبوابها، فأُدخلوا جمعاً و وحدانا
خزنوا الثقافة منها و هي صافية كان التراث لها أُسّاً و أركانا
هي الرياض و فيها رمز نهضتنا يا صاح عن غيرها ما كان أُغنانا

[٣٢] ديوان قبلات على الرمل، أحمد السّالم، ص٩٩-١٠١

إنَّ مضامين الأبيات – الآنفة– تتعلق بجمالية الرياض في نظر السّالم، الأمر الذي يدلّ على شدّة تعلقه، واعتزازه بها، فنلحظ فيضاً غزيراً من مفردات المدح، والإشراق لصورة عاصمة البلاد، مدينة العلم، والثّقافة، والأصالة. فأحدقت بها رموز العروبة، والنّهضة والرقي، فخصّ أهلها بالعلوم، والمعارف، ومرتع التّواصل، والتّلاقح الفكري.

وبعد، فلم يقتصر مدح السّالم لوطنه المملكة العربيّة السّعوديّة، والجوف، ودومة الجندل، بل اتّسع ليشمل دولا عربيّة، رأى فيها الثّقافة، والعشق، ومصدر الإشعاع العلمي، ومنبر العلم، فيقول مادحاً مصر، ومتوجا هذا الحبّ والإطراء بقصـــــــيدة وسمت بـــــ(لأنّها مصر)، فقال: [٣٣]

الجزر مصر ويكفي وحده النيل والعشق مصر فميلوا نحوها ميلوا

لو أُظلم الكون وانداحت حناوسه فأنت يا مصر في الدنيا قناويل

يا قبلة العلم يا أُم البلاو و يا مهر الثقافة جيلاً بعده جيلُ

يقدّم السّالم قطعةً جميلة في حبّه لمصر، وأهلها ومدحهم؛ لينتقل من بؤرة المكان الضيق أو الوطن (السّعوديّة) إلى وطن العروبة والمجد، فهو يذكر مصر؛ ليخلص من دوائر الحدود والموانع الاصطناعيّة إلى عالم أرحب، وأكثر انطلاقاً. وهكذا يعلي السّالم من شأن مصر لتبدو منبع العلم، ومنارة الدّنيا، ومقصد العلماء، وما من أحد من العلماء والأدباء زارها أو أقام فيها قليلاً أو كثيراً إلا أحبّها وأحبّ كلّ خير فيها، فقد زارها

---

[٣٣] ديوان عندما كنت هناك، أحمد السّالم، ص٨٦+٨٧.

كثرة من علماء العرب وأدبائها وشعرائها، فأحبوها، وحنُّوا إليها، ولا يُقرُّ لها، ويحنّ إليها إلا الكرام الأصلاء الأوفياء، ذوو الأصول الكريمة[٣٤].

إن تطلع الشّاعر للوطن، وتلمسه بذور الانتماء والولاء للعروبة، كلّ ذلك يرشح أن يعلن الشّاعر مدحه لبلاد المغرب، بل إنّه يزف البشارة بهذا الموطن: (المغرب)؛ لتكتسب دلالات الإخصاب والنّماء، وكأنّه حلم بالسّفر إلى عالم يوفر المجد، وبهجة النّفس، وإدخال السّرور، وتمثل ذلك في قصيدته بعنوان: (خيمة العروبة)، التي يقول فيها: [٣٥]

قومٌ من ظاعن ظعن لم يغاور ثرى الوطن
وارثُهم مسكن لنا و لكم وارثنا إذن
وسمةُ الجبر و النرى بهجة النفس و البدن

ونظرة إلي البنية اللفظيّة للنّص الشّعري تؤكد أنَّ الفرح والأمل والتفاؤل بعروبة شاملة أعمق حضوراً من التّفرق واليأس بالتشتت، فالشّاعر يَعدُ كلّ دولة عربيّة إسلاميّة وطناً له، وإنّها قريبة من ذاته، فيلبسها ثوب الخصوبة، والعزّ والكرم. بما يشير إلى تغلّب التّجربة الجماعيّة الحقيقية على الوعي الذّاتي الفردي.

---

[٣٤] الحنين والغربة في الشّعر العربي الحنين، يحيى الجبوري، دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠٠٧م، ص٢٠١.

[٣٥] ديوان عندما كنت هناك، أحمد السّالم، ص١١١.

ويستمر الشّاعر في حشد مظاهر السّعادة والمرح المنبثقة من أماكن وقرى وطنه، فينثال عليها بالمدح، وإصباغ صفات الحياة، والسّيادة، فيعود ليقول في قصيدة بعنوان: (القريات): [٣٦]

إنّ القريات ترعولم الأسيّة فقلت: أهلا بسكان القريات
فالأهل أهلي وهزي الدار منتجعي هم ساوتي بفخار و هي سولاتي
لم يفصل البعد فيما بيننا أبداً ففي مرابعها أقوى علاقاتي
دارٌ تنفّس تاريخاً و شاهدها قصر الصعيري من أسمى العلامات
أتيت أنثر أبياتي على عجل ما جئتها لأقضّي بعض أوقاتي

يجيء المقطع الشّعري – السّابق – بوحاً مدحياً بمشاعر صادقة صافية لتلك المنطقة: (القريات) وهنا يردد ذكر: (القريات) بدلالة خاصّة ممتزجاً بها، فلا يعني أي منهما شيئاً بدون الآخر. وفي أثناء وقوفه على منطقة القريات كان يتعمد إثارة مواطن الجمال، ومكامنها في هذا المكان الضّارب بتاريخ الحضارة العربيّة العريقة، والطّافح بعناصر الآثار العظيمة، فما كان منه إلا أن يأتي بصور شعريّة، تتناسب والقريات الجميلة، والمانحة للشاعر حياة متجددة.

هكذا، استطاع السّالم أن يجسّد لنا صوراً حية، ومتوثبة لوطنه السّعوديّة، أريافه، وفيافيه، ومدنه، وجزيئاته، بالإضافة إلى أنّه كان يخرج من دائرة المكان إلى عروبة أكثر اتساعاً، وأبعد مرمى. فلا يرى غيره، ولا تعدوه أسطره الشّعريّة المادحة.

---

[٣٦] ديوان عندما كنت هناك، أحمد السالم، ص١٨.

خاتمة البحث:

يتّضح ممّا سبق أنَّ السّالم ذو علاقة وطيدة بالبعد الوطني، ومفردات المواطنة، وانتمائية الإنسان لوطنه، لذا كان يشكّل الانتماء هاجساً، والوطن مصدراً أساسيّاً، ومعيناً في إنتاج خيالاته الشِّعرية، وإبراز الدِّلالة المعنويّة، فضلاً عن كونه عاملاً بارزاً في اتّساع أفقها، وإغناء معجمه الشّعري.

ولا شك أنَّ حبّ الوطن، وتمظهراته كان- أحياناً كثيرة- نهجاً تقليدياً عند السّالم لا يخرج عن دائرة الحنين والشّوق، ومناجاة هذه الدّيار، والمراعي والأشجار التي بَعُد عنها، وحطّت به عراكات الحياة، في مكان يعج بالمادة والخرسانة والبنايات العالية، والسّيارات الفارهة. ومع ذلك كان هناك صور وأصوات، طفحت بالابتكار واستقلالية الشّاعر في قراءاته لوطنه، فجاءت نصوصه الشّعريّة معبّرة بدقة، وتعكس مشاعر الشّاعر بصدق بعيد عن الغموض.

وتجدر الإشارة إلى توصيات ترسخت عند الباحث وتثير القرائح وقد تمثلت بالآتي:

١-إن شعر السالم طافح بدلالات المواطنة البارزة من خلال الاتكاء على مظاهر أسلوبية تتطلب مزيداً من الوقوف والدراسة.

٢-ركّزت الدراسة على شاعر وحده، فيوصي الباحث أن يعمد الدارسون اللاحقون إلى إجراء دراسات مقارنة بين الشعراء المعاصرين لمظاهر الوطنية، ومدى التحولات في تشكيل الصورة والأبعاد الدلالية.

٣-حاول السّالم أن يقنع الدارس بأن وطنيته العالم الإسلامي، رافضاً الوطن الصغير، مما يدفعنا إلى الاقتراح بدراسة أشكال الوطن عند الشعراء المدافعين عن أوطانهم وطريقة تعبيرهم عن وداعهم ورحيلهم لتلك الأوطان.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الاتجاه الوطني في الشّعر الفلسطيني المعاصر ١٩١٨م- ١٩٦٨م، محمّد عبد عبد الله عطوان، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٣م.

٣- الأدب المسؤول، رئيف خوري، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٤- الإستراتيجية للثقافة الوطنيّة؛ ورشة عمل خاصّة بمناقشة مسوَّدة الخطة، عبد الرحمن بسيسو، غزة، ١٦نيسان، ٢٠٠٥م.

٥- الاغتراب في شعر بدر شاكر السّياب، أحمد عودة الله الشقيرات، دار عمّار، عمّان، ١٩٨٧م.

٦- تطور الاتجاه الوطني في الشّعر الفلسطيني المعاصر، سعدي أبو شاور، المؤسسة العربيّة للنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧- الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٨- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، محمّد إبراهيم حوّر، دار القلم، الأمارات العربية المتحدة، ط٢، ١٩٨٩م.

٩- الحنين في الشّعر الأندلسي؛ القرن السّابع الهجري، محمّد أحمد دقالي، دار الوفاء، لدنيا للطباعة والنّشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

١٠- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٠م.

١١- الحنين والغربة في الشّعر العربي الحنين، يحيى الجبوري، دار مجدلاوي، عمّان، ٢٠٠٧م.

١٢- الحنين والغربة في الشّعر العربي الفلسطيني الحديث، أحمد يوسف البلاصي، دار كنوز المعرفة العلميّة، عمّان، ط١، ٢٠٠٩م.

١٣- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السّقا وآخران، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٤- ديوان بوح الخاطر، أحمد عبد الله السّالم، مرامر للطباعة الإلكترونيّة، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٥- ديوان دموع في مواجهة الطوفان، أحمد عبد الله السّالم، دار المفردات للنشر والتّوزيع، الرياض، ٢٠١٢م.

١٦- ديوان صدى الوجدان، أحمد عبد الله السّالم، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٧- ديوان عندما كنت هناك، أحمد عبد الله السّالم، دار المفردات للنشر والتّوزيع، الرياض، ٢٠١٢م.

١٨- ديوان قبلات على الرمل والحجر، أحمد عبد الله السّالم، هبة النيل العربيّة للنشر والتّوزيع، الجيزة، مصر، ٢٠٠٥م.

١٩- السّجن في الشّعر الفلسطيني، فايز أبو شمالة، المؤسسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، فلسطين، ٢٠٠٣م.

٢٠- شعرنا الحديث إلى أين، غالي شكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٢١- الصّحاح؛ تاج اللّغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٢٢- صناعة المواطنة في عالم متغير؛ رؤية في السّياسة الاجتماعية، بحث مقدّم للقاء الثالث عشر لقادة العمل التّربوي، عبد العزيز الشريدة، الباحة، ١٤٢٦هـ.

٢٣- ظاهرة الشّعر الحديث، أحمد المعداوي المجاطي، مراجعة وتقديم بخيت العوفي، شركة النّشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.

٢٤- قضايا حول الشّعر، عبده بدوي، ذات السلاسل للطباعة والنّشر، الكويت، ١٩٨٦م.

٢٥- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين بن مكرم المصري دار صادر، بيروت، د.ت.

٢٦- مجلة الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السّديري، الجوف- السّعوديّة،ع ٣٦،٢٠١٢م.

٢٧- مركزية الانتماء الوطني في شعر نزار قباني، مها خير بك ناصر، مجلّة الموقف، دمشق، د.ت.

٢٨- الوطن في شعر السّياب الدّلالة والبناء، كريم مهدي المسعودي، دار صفحات للدراسات والنّشر، دمشق، ٢٠١١م.